الشريعة والتدخين

من خطب سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

الفصل الأول:

أما آنَ وقت ترك التدخين

أما آنَ وقت ترك التدخين[١]

الحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لا تردنا في سوء استنقذنا منه:

توجد حقيقة اجتماعية مؤسفة في حياة البشر، وهي أنّه كلّما أنقذهم الله تعالى من بلاءٍ معنوي أو مادي أعادوا أنفسهم إلى مثله أو أسوأ منه ولذا ورد في الأدعية التوسل إلى الله تعالى بعدم الوقوع في مثل هذه الحالة (اللهم لا تنزع مني صالحا أعطيته أبداً، ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً)[٢].

فمن المعنويات نذكر مثالاً وهو أن الناس كانوا يعيشون جاهليةً مليئة بالظلم والفساد والقتل والانحطاط فأنقذهم

---

[١] كلمة ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في مجلسه العام يوم الخميس ٢٠١٢/٥/٣١ المصادف ٩/رجب/١٤٣٣ بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٣ ص١٤٦.

الله تعالى بالإسلام وبرسول الله (ﷺ) لكنّهم ما لبثوا أن انقلبوا على الأعقاب بعد وفاته (ﷺ) ثم عادوا إلى جاهليتهم الأولى.

عدد الموتى بسبب التدخين:

واما على صعيد البلاء المادي فالشواهد كثيرة، وهذه القضية تحتاج إلى بحث وتحليل عقائدي اجتماعي سايكولوجي مفصّل، لكنّني وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين أريد أن أدخل من هذه المقدمة إلى قضية مكافحة التدخين، فقد كانت البشرية تعاني في العصور السالفة من أمراض فتّاكة كانت تودي بحياة الآلاف وتقف عاجزة أمامها، وقد أنقذ الله تعالى البشرية اليوم منها بفضل التقدّم العلمي بالطب والعلاج، لكنّهم ابتدعوا التدخين حيث تقول منظمة الصحة العالمية: إن عدد الذين يلاقون حتفهم بسبب استعمال التبغ بأشكاله يفوق بلا ريب ولا أدنى شك عدد الذين يموتون نتيجة للإصابة بأمراض الطاعون والكوليرة والتيفوس

والتيفوئيد والسل والجدري والجذام مجتمعة كلها في كل عام.

أترى كيف عاد الإنسان ليقضي على نفسه ويوجد بديلاً فتّاكاً بعد أن نجّاهُ الله تعالى من تلك الأمراض الفتّاكة، وتقول التقارير أنّ ثلاثة من كل عشرة يدخنون سيلاقون حتفهم بسبب أمراض ناتجة عن التدخين وان أغلب الباقين سيعانون من أمراض لها علاقة بالتدخين، وجاء فيها: إنّ كمية النيكوتين الموجودة في سيجارة واحدة كفيلة بقتل إنسان في أوج صحّته لو تمّ حقنه بالوريد.

وفي تقرير هذا العام لمنظمة الصحة العالمية (WHO) إن حوالي (٦) ملايين شخص يلقون حتفهم سنوياً بسبب استهلاك التبغ الذي تدخل في مكوناته أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية، وما يفوق الـ٦٠ منها يعتبر مواداً سامة.

وقد تم مؤخراً طرح السيجارة الالكترونية في الأسواق كبديل لمنتجات التبغ، والتي تندرج تحت ما يسمى بالنظام الإلكتروني البديل لتوصيل النيكوتين حيث يتم تسويقها كوسيلة مساعدة للإقلاع عن التدخين، إلاّ أنها

على العكس تماماً تعمل على عرقلة عملية الإقلاع عن التدخين، وتفتح المجال للإدمان عليها حيث توفر جرعات مستنشقة من النيكوتين.

ضرر التدخين:

إن ضرر التدخين لا يختص بالرئتين والجهاز التنفسي ولا بالقلب فقط بل يمتد إلى الكليتين وأعضاء الجسم الأخرى حتى النشاط الجنسي حيث يصاب بالعنّة لتلف بعض الشرايين والأوردة.

ولا يقتصر ضرر المدخن على نفسه بل على من حوله، خصوصاً الأطفال، إذ يقول الخبراء أنّ كل طفلٍ يدخّن أحد والديه في المنزل ما بين عشرة إلى عشرين سيجارة يومياً يكون هذا الطفل قد دخّن ربع هذا العدد، وإنّ تدخين الوالدين يساعد على إصابة الأطفال بأمراض عديدة وأوضحها الأمراض التنفسية خاصة الربو، وأمراض أخرى قد لا يبدو لها ارتباط بالتدخين كالصمم حيث تقول الإحصائيات أن ثلث حالات الصمم في

الأطفال ترجع إلى تدخين الوالدين أو أحدهما ويشرح المختصون كيفية حصول هذا التأثير.

ولا نحتاج أن نطيل في ذكر أضرار التدخين على صحة الفرد والمجتمع فالإعلانات عنها كثيرة ومنتشرة وقد كُتب على كل علبة سيكائر أن التدخين سبب رئيسي لسرطان الرئة والأمراض التنفسية وتصلب الشرايين المؤدي إلى الجلطة والذبحة الصدرية وسرطان الفم والحنجرة وغيرها وحتى الأجنّة في بطون الأمّهات.

الأضرار الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية:

وإذا انتقلنا إلى الأضرار الأخرى كهدر الأموال الضخمة على نفس العملية أو تداعياتها كتلوث البيئة أو نفقات العلاج من آثارها والإدمان عليها أو المشاكل الناتجة بسببها، أو تكاليف تصنيعها وغيرها كثير فإنّنا سنقف أمام أرقام المليارات.

وللتدخين أضرار اجتماعية حيث ينظر كثيرون إلى هذه الحالة باشمئزاز وينفرون من صاحبها، وقد سمعنا

كثيرين ممن يريد الزواج أنّه يشترط على الطرف الآخر أن لا يكون مدخناً.

ولا نغفل عن النقص الأخلاقي، لأنّ التدخين يوجب الاعتياد والإدمان، والخضوع للعادة والاستجابة لمتطلباتها منقصة أخلاقية؛ خصوصاً إذا تحوّلت إلى قوة ضاغطة لا يستطيع أن يتحرر منها، وقد ذكرنا في حديث سابق[1] شرحنا فيه قول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذله)[2] قضية واقعية كانت فيها عادة التدخين سبباً لإعدام واعتقال العشرات من المؤمنين.

(١) سيأتي في الفصل الثالث من هذا الكتيب.
(٢) تحقق العقول: ٣٦٣.

حتى متى التدخين؟

وبعد كل هذا يحق لنا أن نسأل المدخنين (حتى متى التدخين)[1] ، ونتساءل باستغراب وشفقة (ألم يأن يدخنون أن يقتنعوا بأن التدخين عادة ضارّة يجب الإقلاع عنها)، على صيغة الآية الشريفة مع الفارق في المورد (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) (الحديد / ١٦).

لماذا لا يحرم الفقهاء التدخين؟

وقد تسأل هنا: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يكون هناك تحريم صريح وواضح للفقهاء (أعلى الله مقامهم)؟!

---

[1] عنوان كتيب صدر بإشراف ومراجعة سماحة الشيخ (دام ظله) أيام النظام المقبور ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

وأقول في الجواب: إنّ الفقهاء يتبعون الدليل الشرعي ويفتون بمقتضاه ويستعملون صيَغه وتعابيره، وبيان الشرع المقدس لحكم قضية معيّنة قد يكون نصاً واضحاً وصريحاً كقوله (الصلاة واجبة) و(صوم شهر رمضان واجب) و (الخمر حرام) و (الزنا حرام)، وقد لا يكون كذلك وإنّما يذكر الحكم لعناوين عامّة، ويجري هذا الحكم على كل ما انطبق عليه هذا العنوان، وهذه من صيغ خلود الشريعة الإسلامية، لأنّ كثيراً من الأمور لم تكن موجودة في عصر صدور النصوص الشرعية فكيف يذكر أحكامها؟ مثلاً بعض أنواع المسكرات الموجودة اليوم لم تكن معروفة يومئذٍ، لكن ورد نص عام (كل مُسكر حرام)[1] وهذا يكفي لتطبيقها على هذا النوع من المسكر ونفتي بحرمته.

وهناك صيغة أخرى لبيان الحكم من خلال ذكر أسباب الحكم وعلله فمتى وُجدت هذه العلة في الشيء اكتسب ذلك الحكم، كما لو قال أنّ كل شيء يضر البدن بشكل

---

(١)

لا يقبله العقلاء فهو حرام، فمتى ما توفّر هذا الملاك – على تعبيرهم - كان الشيء حراماً.

فحكم التدخين وإن لم يرد بالشكل الأول لعدم وجود موضوعه في زمان صدور النصوص، إلاّ أنّه قد يدخل في بعض العناوين الأخرى، فقد أعطينا فكرة عن:

١ - ضرره على المدخّن نفسه من جهات عديدة، وقد عرفنا ان ضرره أكثر من كثير من الأمراض الفتّاكة حتى الايدز، ففي الإحصائيات الدولية أنّ الذين ماتوا بمرض الايدز منذ ظهوره عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩٢ أي في أكثر من عشر سنوات أقل من الذين يموتون بسبب استعمال التبغ في سنة واحدة.

٢ - ضرره على الآخرين وهو محرّم.

٣ - تبذير الأموال، وقد قال تعالى: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) (الإسراء/ ٢٧)، والإسراف في إنفاقها بغير

وجهٍ معقول، والله تعالى (لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأنعام/ ١٤١).

فالفقهاء إذن يضعون هذه الحقائق أمام الإنسان ويوكلون التطبيق إليه في هذا المورد وفي كل قضية لم ترد بعنوانها الخاص في النصوص الشرعية، خصوصاً وان الناس يختلفون فيما بينهم في قابلياتهم وأحوالهم.

مكافحة التدخين:

إنّ وعي هذه المشكلة والالتفات ببصيرة ومعرفة إلى آثارها هي المرحلة الأولى في طريق المكافحة والعلاج وهذه المرحلة مسؤولية كل صنّاع الرأي العام والثقافة المجتمعية كعلماء الدين والخطباء والمُفكّرين والمؤسسات الصحيّة والإعلامية وبمختلف الوسائل المتاحة والمؤثرة.

ولكي يتحرر المدخن من أسر هذه العادة الضارة يحتاج إلى إرادة قوية وعزم وتصميم فيتخذ قرار الإقلاع عنها ولا يتردد ولا يقع تحت تأثير المشكّكين والمثبطين، وحينئذٍ سيجد لذة الانتصار مضافاً إلى ما سيشعر به من تحسّن في صحته وتذوقه لطعم الحياة.

ولا مانع لمن يجد صعوبة أو مانعاً من الامتناع الكلّي أن يتدرّج في التقليل حتّى يتحقق الامتناع الكلّي، وعلى من حوله أن يشجعوه ويؤازروه على نفسه.

ونحن مقبلون على شهر رمضان المبارك فليغتنم المدخنون فرصة الامتناع عن التدخين في نهار كل أيام الشهر أثناء الصوم ليستمدوا منها القوة والعزم لتركه نهائياً، فإنّ علة تشريع الصيام تحصيل التقوى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/ ١٨٣) والتقوى هي صفة القابلية على الامتناع عن ممارسة الخطأ والوقوع فيه.

وهنا يأتي أيضاً دور المؤسسات والجهات النافذة باتخاذ التشريعات الكفيلة لتضييق الدائرة على هذه الظاهرة،

كإصدار المرجعيات الدينية فتوى بمنع التدخين في المساجد والحسينيات والعتبات المقدسة والتجمعات العامة لما فيه من إضرار بالآخرين ومضايقة لهم وهذا غير جائز.

وقد استجاب البرلمان قبل عطلته الفصلية هذه وقرر المنع من التدخين في مؤسسات الدولة وسيارات النقل العام ونحوها.

الفصل الثاني:
الشريعة والتدخين

الشريعة والتدخين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

أيام عالمية:

إنه لمن الأعراف الإنسانية النبيلة تعيين يوم عالمي لقضايا البشرية المهمة يجتمع فيه المسؤولون وصنّاع القرار وأهل الحل والعقد لمناقشة تلك القضايا. فللعمال يوم، وللمرأة يوم، ولمكافحة الإيدز آخر، ولمكافحة

---

(١) الكلمة التي أعدها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وألقاها ممثله في الندوة التي أقامتها مديرية صحة النجف على قاعة رئاسة جامعة الكوفة يوم ٢٢ /١٤٢٦/٤ المصادف ٣١ /٢٠٠٥/٥ بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين، وقد اختار هذا الموضوع بناءً على رغبة المنظمين للندوة، واتخذها سماحته فرصة لإطلاق فتواه المباركة بحرمة بيع وشراء وتناول السكائر الأمريكية والبريطانية والفرنسية لأنها دول معادية للإسلام والمسلمين وأخذت الفتوى صداها الواسع في الشارع.

التدخين يوم، هو هذا الذي نجتمع فيه، والموضوع الذي نختاره هو (الشريعة والتدخين) حيث يتساءل الكثيرون عن حكم التدخين في الشريعة ويستغرب الكثيرون من عدم اتخاذ الفقهاء موقفاً حازماً ضد هذه الظاهرة السيئة.

تحديد الموقف الشرعي من التدخين:

ولتحديد موقف الشريعة من التدخين نقول:

إن معرفة الحكم الشرعي لأي موضوع - كالتدخين - يكون بأحد صيغ ثلاث:

الأولى: أن يرد نص صريح في حكم ذلك الموضوع بعنوانه الخاص كحرمة الزنا وحلّية البيع ووجوب الصلاة، حيث وردت نصوص مباشرة فيها.

الثانية: أن يرد نص بالحكم على الموضوع بعنوانه العام ويكون هذا الموضوع الخاص أحد مصاديقه وتطبيقاته كحرمة كل مسكر مهما قلّ مقداره مادام الكثير منه حرام.

ومنه نعرف حرمة تناول البيرة لانطباق عنوان المسكر عليها رغم عدم وجود نص بعنوانها.

الثالثة: أن يطرأ على الموضوع عنوان ثانوي له حكم معين فيشمل ذلك الموضوع بواسطة طروّ هذا العنوان عليه كالتصرف في مال الغير بدون إذنه فهو محرم لكن إذا توقف إنقاذه من حريق على التصرف في ملكه بدون إذنه فإنه يصبح واجباً لوجوب إنقاذ الإنسان من الهلاك.

وحينما نريد معرفة حكم التدخين في الشريعة فإننا لا نجد حكماً بالصيغة الأولى فينحصر البحث في الصيغتين الأخريين وحينئذٍ سنجد على صعيد الصيغة الثانية الحكم بالحلّية لأن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يثبت الحظر والمنع والمفروض عدم ثبوت مثله.

أما على صعيد الصيغة الثالثة فإن هناك عدة عناوين يمكن أن تكون منشأً للمنع والقول بالحرمة، كالإضرار بالنفس وتلويث البيئة والخسائر الاقتصادية الفادحة، وقد تكفّل كمٌ هائل من الدراسات والإحصائيات بيان حجم هذه الأضرار والخسائر.

النقص الأخلاقي:

وأضيف إليها النقص الأخلاقي على صعيد جهاد النفس الذي سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الجهاد الأكبر، فإن غاية ما يطمح إليه الأخلاقيون والعرفانيون المشتغلون بتهذيب النفس وتطهير القلب هو تحرير الإنسان من سلطة وطاعة أي شيء سوى الله تعالى والتخلّص من التعلق بأي شيء غيره تبارك وتعالى، فمن هذه الناحية يكون المدخن أسيراً لسيكارته لا يستطيع مقاومة هذه الرغبة الجامحة، وهذا نقص وتعويق في طريق الكمال. وأتذكر أننا حينما سألنا أستاذنا الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) أنك بنعمة الله متخلص من داء التدخين قال (قدس سره): أما يكفيني أني عبدٌ للشاي حتى أكون عبداً للسيكارة وكان (قدس سره) مواظباً على شرب الشاي.

الحرمة الثانوية للتدخين:

ومحل الشاهد أن هذه المخاطر الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية إذا بلغت درجة تقنع

الفقيه بالحرمة فإنه سيحرم التدخين بهذا العنوان الثانوي وإلاّ فلا، ومن هنا اختلفت فتاوى الفقهاء بسبب تفاوت قناعاتهم.

ومما يجدر ذكره أن نتيجة الصيغتين الثانية والثالثة لو تعارضتا فإن المرجح هي الثالثة كما في المقام.

وقد لا تحصل للفقيه القناعة بالتحريم العام للتدخين وإنما يحرّمه في حالات خاصة، كما لو كان الإنسان مصاباً بحالة يضرّه فيها التدخين ضرراً بالغاً ومباشراً فإنه يحرم على هذا الشخص خاصة.

تحريم السكائر التي تكون مدخلاً لتسلط أعداء الإسلام:

ومن الحالات الخاصة للتحريم ما أفتيتُ به عام ٢٠٠٢ بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) حيث أعلن عدد من قادة الدول الغربية بصراحة وبوضوح الحرب الصليبية على الإسلام فحرّمت التعامل بالسكاير الأمريكية لأنها من موارد التمويل الضخمة للشركات التي تدعم الجهد المعادي للإسلام وقد

استجاب للفتوى عدد كبير من تجّار السكاير بالجملة والمفرد مما أضرّ بهذه الشركات.

من مذكراتي في مواجهة أعداء الإسلام:

وأنقل لكم هذه الفقرة من مذكراتي: (في يوم ١٠ ـ ٦ ـ ٢٠٠٢) جاءني إلى مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كنت ألقي فيه محاضراتي العلمية وأدير منه نشاطاتي الفكرية والاجتماعية جاءني ممثّل شركة الخير لإنتاج السكاير ومنها (ميركوري) وأنواع أخرى في الأردن بعد أن طلبت منه شركته باعتباره الجعفري الوحيد في وكلائها حسبما قال للاستفسار من الحوزة العلمية حول صحة صدور فتوى بتحريم السكاير، وقال إن الشركة أبلغته بتكدس آلاف الكارتونات من السكاير ويكلف كل كارتون (٨) دولارات من الرسوم الكمركية، وفهمت منه إمكان تقديم جزء من هذا المبلغ الكبير مقابل سحب الفتوى، ولما لم يفلح تحوّل إلى التهديد فقال أن مقر فرع الشركة في العراق في تكريت وأن الرسوم تدفع إلى عدي

صدام حسين وأصررت على الفتوى وقلت له: أن هذا الموقف متفق عليه لدى العلماء بحرمة تقوية أعداء الإسلام وأثنيت أمامه على طاعة الأمة لفتاوى (الحوزة العلمية الشريفة).

وأكرر الآن ما قلته يومذاك من حرمة التعامل بالسكاير الأمريكية والبريطانية والفرنسية بيعاً وشراءً وتناولاً.

خطوات عملية لترك التدخين:

بقي عليّ أن أقدم باختصار بعض الخطوات العملية التي تساعد على ترك التدخين:

١ ـ زيادة العلم والمعرفة بسوء هذه الحالة وأضرارها من جميع الجهات التي أشرنا إليها آنفاً، وأشرفنا على كتاب لبيانها عنوانه (حتى متى التدخين) ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف) وقد ساهم في إقناع كثيرين بتركه، وكلما ازداد العلم ازدادت

القناعة والاندفاع نحو العمل بمقتضى هذا العلم فإن المعرفة أساس العمل ويكتسب قيمته منها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أول الدين معرفته)[1] وهذه وظيفة المؤسسات الصحية والفكرية والاجتماعية والبيئية من خلال حملة إعلامية موسعة.

٢ - تقوية العزم والإرادة وقهر النفس والانتصار عليها وعدم الانسياق وراء أهوائها إلاّ ما كان صحيحاً ومحقاً، قال تعالى في مدح من يملك زمام نفسه ويحاسبها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، وذمّ من يتبع هواه من دون رويّة وتأمّل في عاقبة الأمور: ﴿أَفَرَأَيْتَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ، لذلك كان من أهم الصفات في الأنبياء العظام والرسل الكرام التي أشار إليها الله تعالى في كتابه العزيز هو العزم وقوة الإرادة فقال عز من قائل فيما أوصى به خاتم الأنبياء والرسل (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ .

يروى أن هارون العباسي كان مبتلى بعادة سيئة مدمناً عليها فطلب من مستشاريه إقناعه والتأثير عليه لتركها فحاول هؤلاء بحسب اختصاصاتهم. فالأطباء من الناحية الصحية والتجّار من الناحية

الاقتصادية والفقهاء من الناحية الشرعية، فلم يفلحوا ثم التجأ إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي عرف بنور الله تعالى أن مشكلة هارون تكمن في ضعف إرادته لتنفيذ القناعة وليس في أصل الاقتناع فاستثار فيه هذه الهمّة وقال (عليه السلام): (أين عزم الملوك)، فتحركت عزيمته واستجمع قوته وترك ما كان مبتلى به.

٣ ـ اتخاذ خطوات عملية تدريجية ـ وأركزّ على التدريجية ـ من خلال سن قوانين ملزمة كالمنع من التدخين في المدن المقدسة وحافلات النقل العام والدوائر الرسمية أو في أزمنة معينة. والتدريجية في اقتلاع الظواهر السيئة في المجتمع من الدروس المستفادة من سيرة القرآن الكريم في

إصلاح البشرية. فمثلاً: بالنسبة للخمر حيث كان من العسير على العرب تحريم الخمر دفعة واحدة لتفشي هذا الداء فيهم بحيث يُشار بالبنان إلى جعفر بن أبي طالب أنه واحد من أربعة حرموا على أنفسهم شرب الخمر في الجاهلية. فتدرج القرآن في بيان الحرمة كما أشرنا إليه في كتاب (شكوى القرآن).

هذا الأسلوب سلكه الشارع المقدس بالنسبة للتدخين حيث منع منه في نهار شهر رمضان، ولاشك أن نجاح الإنسان في ترك التدخين نهاراً كاملاً على مدى شهر كامل يعين المبتلى بالتدخين على تركه وما عليه إلاّ مواصلة هذا الانتصار على نفسه، ويمكن أن يتدرج الإنسان بتحدي نفسه بتقليل التدخين إلى خمس سيكارات في اليوم مثلا ثم إلى اثنين وهكذا، والتحدي يساعد على تفجير طاقة الصبر والصمود والمقاومة، وسيشعر عند الالتزام بلذة الانتصار ونشوته وهي من

أعظم اللذائذ التي يستشعرها الإنسان.

إن هذه الخطوات العملية الثلاث متكاملة مع بعضها فالإعلام المكثف لأخطار التدخين على النفس والمجتمع والبيئة والاقتصاد يؤدي إلى ترسخ القناعة، فإذا انضم إليها العزم والإرادة القوية للترك واتخذت خطوات تدريجية للحدّ من هذه الظاهرة فإن النتيجة ستكون حتماً النجاح في القضاء على هذه الحالة السيئة.

محمد اليعقوبي

النجف الأشرف

٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦

٣١ آيار ٢٠٠٥

الفصل الثالث:

ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تُذلُّه

ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تُذلُّه[١]

المؤمن عزيز بعزة الله تعالى:

نود التعرض اليوم لقاعدة من القواعد العامة التي تحدد كيفية إعمار المستقبل المعنوي للإنسان، ومثل هذه القواعد والأطر تؤخذ من القرآن الكريم وأحاديث المعصومين (عليهم السلام) وما رشح من كلمات حكيمة عن العلماء العارفين.

ونأخذ اليوم كلمة للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) حيث قال: (ما أقبح المؤمن أن يكون له رغبة تُذّله)[٢]، فالكلام مع المؤمن لأنه عزيز بعزة الله تعالى (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون/ ٨)، ولا يحق للمؤمن أن يفرط بعزته وكرامته ويمتهنها، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء

---

[١] من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع تجمع المهندسين الإسلامي فرع البصرة يوم الجمعة ١/ع٢/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٢/٢٤.

[٢] تحقق العقول: ٣٦٣.

إلا إذلال نفسه)[١]، أما غير المؤمن فيكفيه ذلة: انغماسه في المعاصي وانسياقه وراء شهوات النفس وطاعة الشيطان.

ليست المشكلة في أن تكون لنا رغبات:

والحديث الشريف لم ينكر على الإنسان أن تكون له رغبة، لأن الرغبات من النوازع النفسية التي أودعها الله تبارك وتعالى لدى الإنسان –كالخوف ـ لتدفعه إلى ما ينفعه ويُصلح شأنه ويحميه من الخطر والضرر ولتحفزّه على طلب الكمال، مضافاً إلى ما يأمر به العقل، وكأن القناعة التي تحصل من النظر العقلي غير كافية لدفع الإنسان ما لم تتحرك النفس بذلك الاتجاه فانضمت إليه الرغبة، وهذا ما يوحي به معناها الأصلي فإن (أصل الرغبة: السعة في الشيء، يقال: رَغُبَ الشيء: اتسع، والرغبة والرغب: السعة في الإرادة)[٢] قال تعالى (وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً) (الأنبياء/ ٩٠).

---

[١] ميزان الحكمة للريشهري: ٣/ ٤٤١.

[٢] المفردات للراغب: ص٣٥٨ مادة (رغب).

فالمشكلة ليست إذن في أن تكون لك رغبات، وإنما المشكلة في أن تكون للمؤمن رغبة تُذله وتحط من كرامته وتعيق سعيه نحو الكمال، وليس المقصود الرغبة في المعاصي والمحرمات فهذه خارجة عن نطاق الحديث الشريف لأنها غير متصورة في المؤمن، وإنما الكلام في الرغبات المباحة التي تأسر صاحبها وتضغط عليه وتشوش عليه فكره حتى ينهار تحت إلحاحها وضغطها فيرتكب ما لا يليق به.

كالشخص الذي يحب أن تكون له حياة مرفهة كالآخرين من دار مزخرفة وسيارة بأحدث موديل ومصالح مالية ونحوها، فيكرّس تفكيره في الحصول عليها بغضّ النظر عن مشروعية الوسيلة المتخذة لتحقيقها، فيقع في المحرّمات الشرعية والمخالفات القانونية ويتعرض لخسارة الدنيا والآخرة والعار الاجتماعي، كهذا الفساد الذي فاحت رائحته التي تزكم الأنوف من بعض المتصدّين لإدارة أمور العباد والبلاد.

مفهوم الرغبة في القرآن والحديث:

ولذا نزلت الآية الكريمة في وقت مبكر لتحذّر من هذه الرغبات، قال تعالى (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طه/ ١٣١) فالآية الشريفة تشير إلى أن التوسع في طلب الدنيا يكون على حساب الفوز في الآخرة ويكون ثمنه النصب والتعب في الدنيا من أجل أمور زائلة.

من غرر كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) (الرغبة مفتاح النصب) وقال (عليه السلام) (الرغبة في الدنيا توجب المقت) وقال (عليه السلام) (الراغب: دعته إلى الدنيا نفسه فأجابها، وأمرته بإيثارها فأطاعها، فدنّس بها عرضه، ووضع لها شرفه وضيَّع لها آخرته) وقال (عليه السلام) (إن النفس التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها وتشقى في منقلبها) وقال (عليه السلام) (أكرم نفسك عن كل دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض عما تبذل من

نفسك عوضاً) وقال (عليه السلام) (إن الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها)[١].

الحذر من الانسياق وراء الرغبات:

إن الكثير من الوقائع والحوادث تشهد على نتيجة مفادها أنّ من ينساق وراء رغباته بدون تعقل وحكمة وحساب للعواقب يخسر ويسقط في النهاية كبعض الطامحين بالشهرة الذين يقومون بمغامرات الصعود إلى هملايا أو مصارعة الحيوانات الهائجة أو قيادة السيارات بجنون، أو القفز من ارتفاع شاهق ونحوها فيُقتلون دونها، وكالكثير من المصابين بجنون العظمة الذي يريدون أن يتسيدوا على الناس ويتسلطوا فيهلكون الحرث والنسل ويهلكون أنفسهم من أجل هذه النزوات الحمقاء.

ما الذي دفع بأولئك المتمردين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى منعوه من كتابة وصيته في رزية يوم الخميس ثم انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفتحوا

---

(١) هذا الحديث والأحاديث التي سبقته في غرر الحكم: ٢٥، ٤٨، ٨٦، ١٣٢، ١٧٩، ١٩١.

باب الفتنة والشقاق والخلاف والتقاتل إلى قيام يوم الساعة فحملوا على ظهورهم كل هذه الأوزار: انه الانسياق وراء الرغبات المذلّة المهينة رغم مخالفتها لشريعة الله تبارك وتعالى.

قصة عن التدخين والرغبة المذلة:

وإذا أردتُ أن أذكر مثالاً على هذا الحديث الشريف فهم بعض المبتلين بالعادة المشهورة التي تحولّت إلى ظاهرة تسعى كل الدول إلى تحجيمها والتحذير منها وهي التدخين، يروي بعض أفاضل الخطباء والكتّاب انه في موسم من مواسم الحج المباركة حدّثه أحد المؤمنين الذين كانوا قد عانوا آلام السجون ومحنة التعذيب، أن مؤمناً كان ثابتاً على موقفه، وواجه جلاّديه بشجاعة نادرة أذهلت الجميع، ولما تعب أحد الجلاّدين من تعذيب هذا المؤمن، راح يترجم حنقه على هذا المعذب بشرب سيكارة، وإذا بالمعذَّب ينهار لرؤية الدخان، فناداه متوسلاً، سيدي ناولني سيكارة!! فدهش الجلّاد وقال: على أن تتكلم بما تعرف! فقال: أجل وما هي إلا

لحظات حتى اعترف ذلك الرجل على خمسين مؤمناً جاء بهم إلى ساحات التعذيب وأثكل عوائلهم وسبب الألم واليتم لأطفالهم.

اعرضوا رغباتكم على رضا الله تعالى:

فعلينا –أيها الأحبة ـ أن نعرض رغباتنا على ما يريده الله تبارك وتعالى فننفذ منها ما يرضيه عز وجل ونعرض عمّا يسخطه أو يبعدنا عنه ويعرقل سيرنا نحو تبارك وتعالى، فالرغبة في الشيء بقدر الأعراض عن نقيضه، قال أمير المؤمنين (أصل الزهد حسن الرغبة فيما عند الله) وقال (عليه السلام) (إن الزهد في الجهل بقدر الرغبة في العقل).[1]

وهذه الرغائب الحقيقية يمكن نيلها بالتقوى والصبر والعمل الدؤوب والمعرفة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن تقوى الله.. بها تنال الرغائب) وقال (عليه السلام): (بالصبر

[1] غرر الحكم: ١٦٠، ١٧٤.

تدرك الرغائب) وقال (ﷺ): (توكّلوا على الله عند ركعتي الفجر بعد فراغكم منها ففيها تعطى الرغائب).[1]

نحتاج الى الإرادة لنسيطر على الرغبات:

وتحتاج أيضاً إلى إرادة للسيطرة على جموح الرغبات، يروى أن أحد العلماء أصيب بمرض صدري فأمره الطبيب بالإقلاع عن التدخين، فقال العالم: لا أستطيع ذلك، فاستغرب الطبيب منه، وقال أنتم تطالبون شارب الخمر بتركها وقد أدمن عليها وأصبحت جزءاً من بدنه، وتطالبون معاقري اللهو والمجون والليالي الحمراء بتركها وهو يجد لذته وأنسه فيها وأنت تقول: لا استطيع، فاستحيا العالم وأصر على ترك التدخين، ومن الله تعالى نستمد العون والتسديد والتوفيق.

---

[1] غرر الحكم: ١٨٦، ٣٢٢، ٣٤٥.

الفصل الرابع:
كلمات تربوية لترك التدخين

دور الإيمان بالدين في ترك التدخين[١]

إن الدين الإسلامي لا يمثل للمسلمين طقوساً عبادية يؤديها الفرد في الأمكنة الخاصة المعدة لها فقط، بل يجد المسلمون في الإسلام حضارتهم وثقافتهم وتأريخهم وأعرافهم وتقاليدهم، لذا فإن المسلم يعتز به ولا يفرط فيه ويدافع عنه ويتمسك به كما تتمسك الشعوب بهذه المعالم في حياتها وتضحي من اجلها.

لهذه الأمور وغيرها كان للدين تأثير قوي في نفوس الشعوب وتوجيه مشاعرها وتحديد مواقفها، وقد التفت العالم كله إلى ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة وشاهد تفاعل هذه الشعوب مع الشعائر الدينية

---

(١) من الكلمة التي أُعدت ليلقيها ممثل آية الله الشيخ محمد اليعقوبي في المؤتمر الثالث لمنظمة المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام الذي افتتح في عمان يوم ٢٠٠٤/٣/١٠ ولم يتيسر له السفر لإجراءات إدارية وفنية.

كالحج إلى مكة المكرمة وزيارة الأربعين لمرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، واستجابتها لداعي الدين.

وإن كانت الحالة ليست جديدة بالنسبة لنا فتاريخ شعوب المنطقة حافل بالشواهد على هذا التأثير وكانت ثورات التحرير الحقيقية التي شهدها القرن الماضي في بلدان هذه المنطقة تستمد قوتها من هذا الدين العظيم وكان أكثر قادتها من علماء الدين كابن باديس في الجزائر وعمر المختار في ليبيا وعبد الرحمن الكواكبي في سوريا ومراجع الدين الشيعة في العراق وإيران.

ولأن الدين يمتلك هذا التأثير القوي في القلوب فإنه يمكن أن يوظف لتحقيق الكثير من الانجازات لمصلحة الشعوب مما لا يمكن تحقيقه بالوسائل الأخرى، وكمثال على ذلك فإن مليارات الدولارات أنفقت لتغطية إعلانات محاربة التدخين وتأسيس المراكز والجمعيات التي تعالج هذه الظاهرة فلم تفلح في عملها، لكن اقل من نصف سطر قالته المرجعية الدينية حسم الأمر حينما أبرمت الحكومة البريطانية في نهاية القرن

التاسع عشر عقداً مع شاه إيران القاجاري اشترت بموجبه امتياز شراء وتصدير وتصنيع التبوغ في إيران لمدة خمسين عاماً، فأحس المخلصون بخطورة هذه الاتفاقية على اقتصاد وسياسة إيران وانه باب يجر التبعية والفساد على شعب إيران، وأقنعوا المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي وكان مقره مدينة سامراء في العراق بضرورة التصدي للأمر، فكتب في ورقة صغيرة (شارب الدخان محارب لإمام الزمان) فامتنع الشعب الإيراني كله عن التدخين، حتى أن زوجة الشاه نفسه كسرت الغليون الخاص به طاعة للمرجعية الدينية وفشلت الخطة البريطانية.

الجسد من مصاديق الأمانة[١]:

من مصاديق الأمانة جسدك الذي ائتمنك الله تبارك وتعالى وصنعه لك بأحسن تقويم لتتخذه وسيلة للكمال والوصول إلى الغاية وأمرك بالاعتناء به وحفظه وتوظيفه لهذا الهدف السامي وهو طاعة الله تبارك وتعالى وعبادته فهو وسيلة وليس غاية، ومما ورد في مناجاة الخائفين للإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي هل تسوّدُ وجوهاً خرَّتْ ساجدة لعظمتك، أو تُخرسُ ألسنةً نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك، أو تطبع على قلوبٍ انطوت على محبتك، أو تُصِمُّ أسماعاً تلذذت بسماع ذكرك في إرادتك، أو تغلّ أكفاً رفعتها الآمال إليكَ رجاء رأفتك، أو تعاقب أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك، أو تعذب أرجلاً سعت في

(١) من الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد عام ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٩/٢١، وأصلها كلمة تحدث بها سماحته إلى حشد من الزوار ليلة استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ٢١ رمضان ١٤٣٠.

عبادتك)[1].

التدخين خيانة للأمانة:

فمن الخيانة توظيف الجسد في الحرام كاللواتي يتاجرن به أو الذين يستخدمون بعض جوارحهم في الحرام ومن الخيانة إيلام الجسد وإيذاؤه ولو بمثل التدخين الضار فضلاً عن المحرمات كشرب الخمر والزنا أو إيذاؤه تحت عناوين مبتدعة كبعض ما يأمر به أدعياء السلوك إلى الله تعالى والمعرفة ولو كان في ما يفعلونه خيراً لما توقف الأئمة المعصومون (عليهم السلام) عن بيانه وهم كجدهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فلا يحبسون عنهم ما ينفعهم، ومن الإيذاء ما يفعله البعض باسم شعائر الحسين (عليه السلام) والتفجّع لمصابه وهي براءٌ منه ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٥٩).

(١) البحار: ج٩١ ص١٤٣.